الأبوة والأمومة
فن وتربية

أ.د/ سعدية محمد على بهادر

أستاذ علم نفس نمو الطفل

معهد الدراسات العليا للطفولة

جامعة عين شمس

مجلة رعاية وتنمية الطفولة – جامعة المنصورة

العدد (١) – المجلد (١) – ٢٠٠٣م

الأبوه والأمومة: فن وتربية

أ.د/ سعدية محمد على بهادر

استاذ علم نفس نمو الطفل

معهد الدراسات العليا للطفولة

جامعة عين شمس

أصبحت الوالدية مهنة بكل ما تحملة هذه الكلمة من معانى فى الآونة الأخيرة بعد أن انشغل الآباء والأمهات عن صغارهم بأعمال أخرى... لذا، فقد شكلت العديد من الجمعيات الخيرية والإجتماعية فى الولايات المتحدة الأمريكية لتوعية الآباء بمهام عملهم وبأصول واجباتهم المهنية التى وجدوا من أجل القيام بها ، والتى كانت تعتبر فى الماضى من المهن الفطرية التى لا تحتاج لتعليم أو تدريب او احتراف ... ولكن وبعد أن تعقدت الحياة الإجتماعية والأسرية فى الآونة الأخيرة أصبح من الضرورى لكل من يقدم على امتهان مهنة الوالدية أن يتدرب عليها وأن يلم بأبعادها حتى يحقق النجاح المطلوب فى حياته الأسرية.

ولما كان المولود الحديث يجلب للوالدين مزيجاً من الشعور المتضارب بين الفرح الشديد والخوف والقلق والتوتر . فإن هذا المزيج الغريب من الشعور يجعل من الضرورى أن تبدأ مهام هذه المهنة الخطيرة منذ اليوم الأول لوصول المولود الى البيت وتستمر من هذا اليوم على مدى الحياة مع اختلاف وتباين متطلباتها ومسئولياتها وإلتزامات الأفراد الذين يقومون بها باختلاف المرحلة العمرية التى يمر بها الطفل.

وهى الوظيفة الدائمة التى تحتاج لتخطيط اسلوب ثابت فى التعامل اليومى ، وتتطلب الحزم والعدل والإتزان والقدرة على ضبط النفس والأبوة تقتضى أن يكون الأب والأم هما القدوة والنموذج الذى يحتذى به الأبناء وينقلون عنه السلوكيات والعادات والتقاليد فى كل من المأكل والملبس والعلاقات والمعاملات ... الخ.

ولذا ، فإن هذه المهنة تتطلب الكثير من التغيير والتعديل المرن فى العادات والطباع والاخلاقيات. وهى بذلك مهنة تتطلب التفاهم وحسن المعاملة . فهل أنت أيها القارئ مستعد لذلك ؟

أهم واجبات كل من الأم والأب شركاء هذه المهنة:

الواقع أن الأم هى العصب الرئيسى فى مهنة الوالدية لأنها البلسم ونبع الحنان الذى يفيض على الجنين بل وعلى الأسرة بأجمعها لذا ، يكون عليها الكثير من الواجبات والمهام التى يتوقع منها القيام بها بإتقان ... ومن أهم هذه المهام:

١- الرغبة الصادقة والأكيدة فى تقبل المولود كعضو جديد فى الأسرة.

٢- القدرة على تخطى الصعوبات التى قد تواجهها فى البداية .

٣- الثقة وعدم اليأس والصبر فى كل ما تقوم به من أعمال.

٤- بذل الجهد والتضحية فى سبيل الزائر الجديد.

٥- التغلب على التغيرات الجسمية التى تبدو عليها بعد الوضع وتقبل مظهرها الجسمى الجديد .

٦- التغلب على ما يساورها من مشاعر سلبية نحو الزوج .

٧- القدرة على مقاومة الشعور بالملل والضيق الناتج عن ملازمتها للمنزل لفترات طويلة.

٨- الحرص الكامل على الاستمرار فى عنايتها بمظهرها العام .

٩- الحرص التام على استمرار رعايتها للمنزل ولزوجها .

١٠- الحرص على نظافة ملابس الطفل وادوات رضاعته .

١١- إعطاء الزوج الاهتمام اللازم وعدم إهماله.

١٢- الحرص عند حمل الوليد ووضع احدى يديها تحت رقبته والأخرى تحت ظهره عند رفعه .

١٣-الابتعاد عن حمل الوليد وارضاعة عند الشعور بالتوتر.

١٤-الحرص على عدم شد الوليد اثناء تغيير ملابسه .

١٥-عدم ترك الوليد مبللاً أو غير نظيف .

١٦-الحديث والمناغاة للوليد عند ارضاعة او تبديل ملابسه.

وكما أن للأم مهام وواجبات فإن للوالد مهام يكون عليه القيام بها منها:

١-ضرورة التفرغ مع الزوجه فى أجازة خاصة لمدة اسبوع بعد عودتها بالطفل الى المنزل.

٢-عدم اشعار الزوجة بالغضب او الملل.

٣-عدم الشكوى من كثرة بكاء الطفل .

٤-عدم إظهار الغضب بسبب اختلاف جنس الجنين عن توقعاته او رغبته .

٥-محاولة الاطراء على مظهر الزوجه وشكلها العام.

٦-التخفيف عن الزوجه ومساعدتها .

٧-الامتناع النهائى عن الخوض فى مناقشات حادة مع الزوجه .

٨-الامتناع النهائى عن التهكم او النقد على شكل أو مظهر الجنين .

هذا ، والواقع أن الجنين حديث الولادة يشبه عادة مقدمة الكتاب التى تمهد له وتهيئ لموضوعه، لأن ما ظهر منه حتى ذلك الوقت يكون مجرد تمهيد بسيط يحتاج الى الكثير من المراجعة والتدقيق والرعاية والإهتمام ليكشف النقاب عن محتويات هذا الكتاب الحديث وفهرسه خلال العام الأول من حياته ولينتظر الوالد وليصبر حتى يظهر مضمون الكتاب.

وليعلم كل أب ان المولود الجديد هوا لزائر الذى يجب ان يحتفى به وليتوقع ان يكون مصدرا للخير والسعادة للأسرة بأجمعها .

كنا نسمع عن أن الوالدية مهنة فطرية لا يحتاج الفرد الى تعلمها او التدريب عليها ، وإنما كل ما يحتاجه هو مجرد الاستعدادات الفطرية الكامنة فى داخل كيانه والمتأصلة فى اعماق نفسه والتى تكتشف وتهتز وتتحرك وتنشط بالقيام بالدور الفعلى للأمومة وبعد الولادة مباشرة . ولكن ، بعد أن تعقدت الحياة وزادت الضغوط والصراعات والمشاكل الاجتماعية والنفسية، وبعد أن دخلت التكنولوجيا من ابواب البيوت ، وخرجت معها الأمهات للعمل ، وزادت الضغوط والمتطلبات على الاسرة وكثر غياب الأب اصبحت الأمومة مهنة شاقة، ومهارة تتطلب الاستعداد وفن يتطلب الصبر والتحمل.

وبعد ان ازداد الاهتمام بالطفولة والأطفال واكدت البحوث المتراكمة فى هذا المجال ان الطفل يتأثر بكل ما يقع على حواسه الخمس منذ اللحظة الأولى لميلاده ، حيث يكون اللحاء المخى نشط للغاية فيختزن فى قاع ذاكرته جميع الخبرات الحسية التى يشعر بها والتى تسجل بمداد لا يقبل الزوال ليظل يتأثر بها طوال حياته ، وليستخدمها فى تفسير وتحليل جميع المواقف الحياتية التى يتعرض لها فى مستقبل حياته والتى تتطلب اتخاذ قرارات بالاقدام او الاحجام .. وتتأثر صورة الطفل عن ذاته وانطباعه عن نفسه من خلال المحيطين به فى البيئة وتنمو الصورة لتكون إيجابية او سلبية وفقاً لمشاعرة التى يكون قد استدخلها فى تراكيبه النفسية وتلافيفة المخية .. كل ذلك وغيره يرجع الى بصمات اصابع الأم ومشاعرها وعواطفها واسلوبها فى التعبير عنها ونقلها إلى الوليد الذى يحتاج اليها ويرتاح لها ويشعر بالاسترخاء والطمأنينة عندما تصل اليه وتهز وجدانه وتترك آثارها على نفسه.

والأمومة بذلك مهنة ووظيفة يسعى اليها الجميع ، ولكنها مهنة شاقة تتطلب العمل المتصل الذى يستغرق معظم ساعات اليوم ، وهى مهنة كل يوم ... الأمومة هى المهنة التى لا يمكن التظاهر فيها بالعمل او الهروب منها بعد إثبات الحضور.

فإذا احتاج طفلك الى الرضاعة او تغيير ملابسه فلا بد لك ان تستجيبى على الفور ، وإذا شعر بالملل او الضيق واخذ فى البكاء فعليك أن تشعرينه بوجودك وتجذبى انتباهه لما يمكن ان يشغله عنك...

لذا فإن عليك ابنتى الأم الصغيرة ان تصبرى وتتحملى وتعطى مختـــارة ، بـــل وتكونى سعيدة بهذا العطاء .. فالأمومة مهنة العطاء الدائم.. والأمومة مهنـــة تتطلـــب منك المرونة لكى تستطيعين مواجهة التحديات والصراعات العنيفة التى تواجه الأبنـــاء فى جميع مراحل حياتهم والتى تحتاج الى اساليب تفكير مرن يساعدك فى الوصول الى معالجة المشاكل بسرعة ولباقة وسعة أفق وصدر...

كما أن الأمومة سيل هائل من مشاعر الحب والعطف والحنان، كما أنها استقرار ودفء ورغبة فى اسعاد الاخرين ، فبالرغم من أن الأطفال حديثو الولادة لا يعرفـــون التواصل اللفظى مع المحيطين بهم، كما أنهم لا يستطيعون فهم الألفاظ والكلمات التـــى يستمعون إليها إلا أنهم يتمكنون من التواصل من خلال نبرات الصوت الهادئ الحنـــون المطمئن، وتعبيرات الوجه المبتسم الفرح السعيد ، ولمسات الأصابع الدافئة الهادئـــة ، ونظرات الاعين المعبرة عن الحب والعطف والحنان...

والأمومة الى جانب ذلك كله تكنيك ونظام وطريقة لتربية الأبناء وفقاً لتخطيـــط سليم ومدروس وغير عشوائى أو متخبط او متردد...

ولما كانت الأمومة مهنة ووظيفة ابدية دائمة ، لذا اعتقد انك لن تقبلى عليـــها الا اذا عرفت مسئولياتها ومهامها... وعلمت ما لـــها ومـــا عليـــها وأدركـــت مردودهـــا ومكتسباتها...

وأرجوك الا تتوقعى منذ البداية ان تكون هذه المهنة ممتعة دائماً او براقـــة وإلا كنت خيالية وسرعان ما اصبت بخيبة أمل وفقدت آمالك واحلامك..

ولكن ثقى دائماً بأن عائد الأمومة ومردودها سيعطيك الكثير وسيجعلك تشـــعرين بالسعادة والرضا وتحقيق الذات وبخاصة إذا ما دخلت عالم الامومة وانـــت تعرفيـــن الكثير عن خبايا الأطفال وعالمهم ويستحسن ان يتم ذلك قبل إقدامك على الالتحاق بهذه المهنة الشاقة.